

عبد القاهر واللفظ

وجد عبد القاهر أن بعض النقاد والبلاغيين أسرف في تعظيم اللفظ ولذلك وقف يقاوم هذا التيار ويرد على اللفظيين وشبهاتهم وفساد ذوقهم في فهم الكلام ويصفهم بأوصاف شتى . قال فيمن ظنوا ان الفصاحة والبلاغة للالفاظ : « واعلم انك كلما نظرت وجدت سبب الفساد واحداً وهو ظنهم الذي ظنوه في اللفظ وجعلهم الاوصاف التي تجري عليه كلها أوصافاً له في نفسه من حيث هو لفظ وتركهم ان يميزوا بين ما كان وصفاً له في نفسه وبين ما كانوا قد اكسبوه اياه من أجل أمر عرض في معناه . ولما كان هذا دأبهم تم رأوا الناس وأظهر شيء عندهم في معنى الفصاحة تقويم الاعراب والتحفظ من اللحن لم يشكوا انه ينبغي ان يعتد به في جملة المزايا التي يفاضل بها بين كلام وكلام في الفصاحة ، وذهب عنهم ان ليس هو من الفصاحة التي يعيننا أمرها في شيء وان كلامنا في فصاحة تجب للفظ لا من أجل شيء يدخل في النطق ولكن من أجل لطائف تدرك بالفهم » ، ثم قال : « ومعلوم ان الامر بخلاف ذلك فأنا نرى اللفظة تكون في غاية الفصاحة في موضع ونراها بعينها فيما لا يحصى من المواضع وليس فيها من الفصاحة قليل ولا كثير وانما كان كذلك لان المزية التي من أجلها نصف اللفظ في شأننا هذا بأنه فصيح مزية تحدث من بعد أن لا تكون وتظهر في الكلام من بعد ان يدخلها النظم . وهذا شيء إن أنت طلبته فيها وقد جئت بها أفراداً لم ترم فيها نظماً ولم تحدث لها تأليفاً طلبت محالاً » (١) وآفة هؤلاء الذين لهجوا بالباطيل في أمر اللفظ أنهم قوم قد اسلموا انفسهم إلى التخييل وانقوا مقاديرهم إلى الاوهام حتى عدلت بهم عن الصواب كل معدل ودخلت بهم من فحش الغلط في كل مدخل وتعسف بهم في كل مجهل وجعلتهم يرتكبون في نصرة رأيهم الفاسد القول بكل محال ويقتحمون في كل جهالة (٢) ، واستعبد اللفظ هؤلاء القوم واخذ منهم كل مذهب « فان

(١) دلائل الاعجاز ص ٣٠٦ - ٣٠٨ .

(٢) دلائل الاعجاز ص ٣١٨ .